الفصل الثالث
طبيعة المرحلة ونوعية الأدب

من الأهمية بمكان ، أن نعرف طبيعة وملامح وسمات المرحلة التي يمر بها الطفل فمعرفتنا بتلك المرحلة تمدنا بخريطة واضحة المعالم،علي أساسها نعرف طريقنا ومعالم هذا الطريق ...وبذلك نستطيع أن نكتب نوعية من الأدب تتناسب وتتلائم وطبيعة تلك المرحلة فليس كل مكتوب أو أي مكتوب يصلح أن يكون أدبا للطفل.فكما أن هناك نوعيات خاصة من الطعام يجب أن تقدم للطفل تتناسب وجهازه الهضمي كذلك لابد أن يكون هناك نوعية خاصة من المقروء يتناسب وتفكيره ومشاعره .وإلا سنجد الطفل يعرض ويبتعد عما تقدمه من أدب كما يعرض عن نوع من الطعام لا يجد في نفسه هوي أن يقترب منه.كذلك إذا أخطأنا في تقديم نوعية الأدب الذي يتناسب والطفل فقد يحدث عكس مانرجوه فالخطأ في التشخيص يترتب عليه خطأ في وصف الدواء والذي يأتي بدوره بنتيجة غير محموده .لذلك فمن الواجب أن نعرف كل كبيرة أو صغيرة بما تتميز به تلك المرحلة لنقدم للطفل ماينا سبه..ويمكن ان نوجز بعض تلك الملامح فيما يلي:

سرعة تأثر الطفل:

التلقائية والعفوية هما الغالبان علي ردود أفعال الطفل فالطفل لا يعرض تصرفات من حوله أوتصرفاته علي عقله وهو ليس متريثا أو متأنيا فيما يتأثر به أو بما يفعله وقابليته للتأثر بلاحدود وهو ليس لديه من المعايير ما يميز به بين

الخطأ والصواب أو ما يجب أن يتأثر به ولا يتأثر به لذا فيجب أن نقدم له الوجه المشرق من الحياة الإنسانيه وما فيها من خير وعدل وجمال والفضائل والقيم والمبادئ ونبعد بقدر الإمكان أن نقدم له أي شيء يناقض ذلك فهو لا يدري لم يتأثر بهذا ولا يتأثر بذلك المرجع والإطار القيمي عنده لم يتبلور بعد " فإن الطفل يحاكي من تلقاء نفسه كل ما قرأه ودرسه وماسمعه وما رآه من غير تفكير فيجب ألا يقرأ إلا أحسن الكتب والمطبعات ولا يسمع إلا خير الكلام ولايري إلا أحسن المثل العليا فلكل هذه الأشياء أثر كبير في الطفل وتربيته وأن معرفة طبائع الطفل تساعد في معرفة المادة التي تناسبه ويسهل علي المربي الذي يعرف تلاميذه بمعرفة مراحلهم العمري وأحلاقهم الشخصية وعيوبهم البنية وعاداتهم العقليه فيضع كل طفل موضعه ويختار له من المادد ما يلائمه" [1]

محدودية الإدراك:

لا نستطيع أن نقول أن الطفل لا يفكر فهو يفكر كأي إنسان ناضج ولكن تفكيره حسي فهو لا يدرك التجريد . فمثلا حينما نريد أن نعلمه عملية الجمع لا نقول له١+١لأن رقم (١) فيه تجريد وهو لا يدرك معني رقم وإنما لكي نقرب له هذا الأمر نقول له تفاحة + تفاحة . فهو يدرك ويعرف التفاحة بشكلها المستدير ولونها الأحمر ورائحتها وطعمها الشهي . يدرك الأشياء التي يستطيع أن يلمسها بيده ينصرها بعينيه يتذوقها بلسانه فهو لم يتخط مرحلة الواقع إلي ما وراء الواقع جزيئات العالم الواقعي تشغله وتمثل له ألغاز وطلاسم وهو يبدل مجهودا جبارا كي يفهم ماحوله وهو يقترب كثيرا من مامن شأنه أن يفهمه ويفرح له ويشرح هذا

---

١. الاتجاهات الحديثة في التربية ـ محمد عطية الإبراشي (٢٦٦)

الواقع الذي يمثل له تحديا لرغبته في الفهم فيجب أن يتمحور الأدب الذي نقدمه له حول تلك النقطة . أن يكون الأدب واقعيا حسيا . موضوعاته هي الموضوعات المحاطة بالطفل مايراه مايسمعه مايحسه وبهذا يجد في المادة المقروءة معادل موضوعي للواقع . وكأن الأدب هو درجة أخري من درجات الواقع الذي يعيشه فيشعر أن هناك علاقة وثيقة تربطه بهذا الأدب وعلي هذا يجب أن نبتعد ونحن نكتب له عن المجردات والمعنويات والقيم والفضائل وإذا أردنا أن نحدثه عن تلك الأمور فمن خلال تلك الأمور مجسدة في أشخاص فلا نحدثه مثلا عن الصدق وأهميته وانما نحدثه عن الشخص الصادق ومدي حب الناس له واحترامهم له وكذلك الأمانة فلا نسهب في الحديث عنها فهو لا يفهم هذا المعني المجرد وإن فهم فهو فهم ناقص مبتور وانما نحدثه ونكتب عن الشخص الأمين وكذلك العمل والوفاء والإخلاص .ونستطيع أن نقرب له الأشياء التي تعلو عن فهمه بضرب الأمثلة له "إن الطفل في سني حياته الأولي يفكر علي مستوي حسي فهو لا يدرك المجردات والمعاني الفلسفية ولذا يجب تقريب هذه الأمور له بشكل حسي وربطها بواقعه وحياته فاليوم الآخر من المواضيع البعيدة عن حياة الطفل ولذا يمكن تقريبه لذهن الطفل عن طريق مقارنته بالفحص الذي تجريه المدرسة في نهاية العام" [1]

- **تعدد الحاجات النفسية:**

لكل انسان حاجات نفسية . والإنسان يسعي سعيا حثيثا لإشباع تلك الحاجات فهو إن لم يشبعها سيشعر بالتوتر والقلق وهو إن أشبعها سيشعر بالراحه والإطمئنان.والعالم الذي يستطيع فيه الإنسان أن يشبع حاجاته

---

[1] . كيف نربي أبناءنا - معروف زريق - (٨٧)

النفسية،يتمسك به الإنسان ويحبه ولا يرتضي عنه بديلا،والعالم الذي لا يستطيع الإنسان أن يشبع فيه حاجاته ،يكرهه ويحاول أن يبتعد عنه بل ويهجره إلي عالم آخر يجد فيه الإشباع.

والإنسان كائن مرن ،وهو يلجأ إلي السبل التعويضية كي يشبع تلك الرغبات فهو إن عجز عن أن يشبعها بصورة واقعية لجأ إلي الخيال أو إلي الأدب كي يجد فيه إشباعا لحاجاته وكل هذا ينطبق أيضا علي الطفل،فحاجات الطفل كثيرة وقد لا تشبع تلك الحاجات إما لجهل من حوله بتلك الحاجات ،أو عدم اهتماماتهم ويأتي دور الأدب لكي يقوم بإشباع تلك الحاجات ،لذا فيجب علي الكاتب أن يعرف تلك الحاجات ويحاول أن يبرزها ويهتم بها في الأدب ،لأن حينما يجدها الطفل موجودة في الأدب الذي يقدم لها سوف يشعر بالإشباع والرضي، فبمجرد إحساسه إنها موجودة حتي علي صفحات قصة يقرأها أو تحكي له هدا سيحقق له نوعا من الإشباع " تسيطر علي الطفل في سنواته الأولي دوافع فسيولوحية ومع نمو الجهاز العضمي والذكاء وملاحطة للوبط الإجتماعي الذي يعيش فيه تظهر عنده مجموعة من الحاجات النفسية نتيجة أهميتها للشخص ككل واتصاله بالمجتمع الذي يعيش فيه،والحاجات النفسية التي إتفق عليها عدد كبير من العلماء هي

١. الحاجة النفسية للمحبة والعطف need of affection
٢. الحاجه النفسيه للطمأنينة والأمن need of recarity
٣. الحاجه النفسيه للحريه الفرديه need of freedom
٤. الحاجه النفسية للمعرفة need of cerusity

٥. الحاجة النفسية للتقدير والنجاح need of success

٦. الحاجة النفسية لسلطة ضابطة وموجهه Need of control " [١]

- إدراك العموميات:

التفاصيل والجزيئات الصغيرة لا يدركها الطفل . فالعموميات والكليات تشغله عن الجزيئات ،وهذا شيء طبيعي فالعقل الإنساني ينتقل في عمله من الكليات إلي الجزيئات والسعي وراء تفاصيل الواقع في حاجة إلي قدرة عقلية واستمرارية في التفكير لا تتوفران للطفل ...وعلي هذا ففي أدب الطفل لا يجب أن نهتم بالتفاصيل لأن هذا من شأنه التطويل والإسهاب وهذا من شأنه أن يدخل الملل والسأم علي الطفل ومن ثم ينصرف عن القراءة أو التتبع فنكون بذلك قد خسرنا القارئ الرئيسي الذي يدور أدبنا كله حوله " يميل إلي الصور الملونه والقصص الخيالية ويدرك الأشياء ككل فهو يدرك الشجرة في مجموعها لا علي أنها مكونة من جذع وجذور وساق وثمار وأزهار .ولما كان الطفل في هذه المرحلة محدود الخبرة فإن قابليته للإستهواء تكون كبيرة ويظل تفكيره في هذه المرحلة علي المستوي الحسي" [٢].

- دور الخيال وأهميته:

لا أحد ينكر دور الخيال وأهميته في حياة الإنسان . والخيال له مساحة كبيرة في حياة الإنسان تقل بالتدريج كلما كبر . ليحل محله العقل والمنطق ومع ذلك لا يستطيع الإنسان أن يستغني عن الخيال ـ فقدرة علي التخيل نعمة تجعل من حياة الإنسان شيئا محتملا.فالخيال يخفف من كثافة وغلظة الواقع .وهو بمثابة ظل ظليل يستريح فيه الإنسان من لفحة الحياة.

---

١ . أطفالنا والتربية – محمد زكي عوض – (٢٩)

٢ . المصدر السابق (٤٨)

وحياة الطفل كلها خيال فالعقل والمنطق لا مكان له في حياة الطفل،لذا فقد تجده يخاطب الجماد ويشخصه ويضربه ويعاتبه ويصادق الحيوان ويعايشه وهذا يعطينا فكرة عن مفردات العالم كي نكون له عالما يأنس إليه ويألفه .ومن خلال هذا العالم يتسني لنا أن نصوغ شخصية الطفل ونزرع في وجدانه ما نشاء من قيم ونحثه علي أن يستغل مواهبه الفطرية .وإمكاناته التي يكتشفها شيئا فشيئا.

فالخيال يزوده بقدرة علي أن يجرب ويستكشف ويستنتج ويصل إلي حقائق تتناسب وتفكير عمره " تزداد مفردات الطفل وخبراته كما تزداد القدرة علي التفكير ولكنه يكون خياليا لا يربط النتائج بأسبابها وهو لا يعرف قيمة شيء أو أهمية إلا بالنسبة إلي شخصه فقط .ويميل الطفل في هذه السن ميلا شديدا إلي القصص الخيالية التي يعيش فيها الحيوان والجماد حياة إنسانية كما يميل إلي الألعاب القصصيه ويسأل الطفل أسئلة كثيرة تبدأ عادة بكلمة (لماذا)ولكنه لا يسأل للبحث عن السبب المنطقي ولكنه يسأل لمجرد الرغبة في الكلام ولهذا لا ينتظر الجواب .وعلينا في هذه الفترة أن نعتمد علي التعليق أكثر ما نعتمد علي الشرح ونوفر له فرص التجريب والكشف وإستغلال الخيال والتفكير في المجال العملي محاولين الإعتماد علي طريقة المحاورة وتصحيح الأخطاء" [1]

- إحساسه بالقلق والحيرة:

قد يظن ظان أن مرحلة الطفولة كلها سعادة وفرح ولعب وإنها خالية من الهموم وأن الطفل يستمتع بحياته إستمتاعا لا متيل له فالطفل- في تطوره- لا يحمل أي مسئولية من المسئوليات التي تكدر صفو الحياة .ولكن في الحقيقة أن

---

[1] . المصدر السابق - (٤٠)

حياة الطفل ليست كلها سعادة وفرح ولهو . فله همومه وأحزانه مثل ما للكبير.فلكل منهما له عالمه وكل عالم له همومه ومسئولياته .فكل المواقف التي يصادفها الطفل يواجهها لأول مرة .ولايدري كيف سيتصرف حيال تلك المواقف وهو ليس له خبرة أو دراية بها " الطفل كائن حي ضعيف ينمو، وهو إذ ينمو يتخطي الصعوبات والأزمات النفسية . نجد الطفل منذ نعومة أظفاره يصرخ أحيانا ويبتسم أحيانا،نجد ذهنه يشرد في مشكلاته أحيانا،ونجد ذهنه يتجه بصورة واقعية إلي ما يحيط به ونقول حين يشرد ذهن الطفل إنه غارق في أحلام اليقظة أو أنه يسبح في خيالاته.وننسي ما وراء ذلك كله من نواحي الألم والقلق والخوف وما إلي ذلك"

فمرحلة الطفولة لها منغصاتها وآلامها وأحزانها نعم تلك المنغصات الآلام والأحزان قد تعد تافهة في نظر الكبير ولكننا ننظر إلي الأمور بعين الطفل وليس بعين الكبير وخطورة تلك المرحلة أن ما يتعرض له الطفل من آلام وأحزان قد يترك أثره في وجدان الطفل إلي أن يكبر .وكثيرا من الأمراض النفسية التي يعاني منها الكبار.لو بحثوا عن حقيقتها سيجدون أن جذورها ممتدة إلي مرحلة الطفولة التي مر بها .ولكن مرحلة الطفولة بكل أحداثها وأفراحها وأحزانها وآلامها تعيش داخله، بل قد يكون أغلب تصرفات الإنسان وسلوكه مردود إلي تلك المرحلة .كل ما في الأمر أن تلك المرحلة أصبحت في الظل ،مسدولة عليها الكثير من السدول.ولكنها موجودة تتنفس وتفرض تأثيرها وهيمنتها علي المراحل التالية لها . لذا نري أن الرجل الذي لديه قدرة علي مواجهة المشكلات والمواقف الصعبة تلك القدرة إكتسبها وهو طفل ونمت معه تلك القدرة فكل القدرات التي نكتسبها ونحن أطفال تنمو معنا ويصقلها العمر والتجربة.

لـدا فعلي الكاتـب الـذي يكتـب للطفـل أن يعـرف المواقـف الجديـدة الـتي سيصـادفها الطفل وتلك المشكلات التي يمكن أن يتعرض لها الطفل ويكتـب عنها وكيفية التصرف إزائها وينمي فيه القدرة علي مواجهتها والتغلب عليها.فإذا قرأ الطفل عن كل هذا أو حكي له عنها وصادف تلك المواقف والمشكلات في الواقع ستختفي تلـك الهالـة مـن القلـق والحـيرة والخـوف والألم الـتي تحـيط بـالمواقف والمشكلات وسيتصرف الطفل إزائها بكل هدوء وحكمة.فكل الصعوبة عند الطفل التي تقابله في مواجهة المشكلات والمواقف أنها جديدة عليه لم يسبق له أن مر بها أو قابلها " فالطفولة ليست كلها صفاء وشمسا مشرقة ولكنها عهد يقابل فيه الطفل مواقف جديدة تتطلب منه أن يتصرف فيها وقد يصحب ذلك شعور بالقلق والحيرة.كما يشعر الكبار عند مقابلتهم للمشكلات المناسبة لهم.ونجاح الطفل في التغلب علي الصعوبات يزوده بقدرة علي التغلب علي الواقف الأكثر صعوبة عندما يصادفها في المستقبل شأنه في ذلك شأن الكبار تماما " [1]

- <u>الطفل خير من يحدد ما يناسبه:</u>

لا نستطيع أن نكتب بصدق عن شيء إلا إذا عايشنا هذا الشيء واقتربنا منه.والكاتب لأدب الطفل لا يتسني له الكتابة للطفل إلا إذا كان يعرف الطفل حق المعرفة ويحس به حق الإحساس .ويقدره،ويري أنه يستحق أن يكتب له بصفة خصوصية ومنفردة ولكن كيف للكاتب أن يعرف ماينناسب الطفل ومالاينناسبه هو الطفل نفسه.وليس أحد غيره.كل ما علي الكاتب أن يراقب الطفل يلاحظه .يشاركه في كل شيء يصادفه يزامله.لايملي عليه شيء ولا يجبره علي شيء.يسيره

---

١. مواجهة الطفل للأزمات – حورج مهر – (١٤)

وراءه ولا يتقدمه. فالطفل هو المفتاح الذي نفتح به نفتح عالم الطفولة ونلج إليه ونعرف أسرار هذا العالم الغامض والمجهول بالنسبه لنا نحن الكبار " أن المربين والآباء والمدرسين يدعون أن الطفل يجب أن يتبعهم ويسير ورائهم وينهج نهجهم ويخطو خطواتهم وفي هذا كل الخطأ وينبغي أن يعكسوا الأمر ويتبعوا الطفل ويسيروا وراءه وعلي طريقته حتي يستطيع أن ينمو نموا كلملا فللكل حقوق يجب أن تراعي ،وهو عضو عامل في مجتمع روحي يجب التفكير فيه ،وقد إتفق الجميع علي مراعاة طبيعة الطفل "[1]

نصل من هذا إلي أننا يجب أن نحترم أراء ورغبة الطفل كي يحترم هو الأخر إرادتنا ورغبتنا فنحن نصوغ له العالم الذي يريده ونحدثه عما يود أن يسمعه ونريه ما يتمني أن يراه وبذلك ينجح الكاتب في أن يكتب أدبا للطفل ،لا ليثبت للكبار أنه جدير بذلك ،بل ليمنحه الصغار شهادة تقدير تبرهن أنه إستطاع أن يستحود علي أفئدتهم ويستأثر علي مشاعرهم.

مما سبق نكون قد أجملنا بعض الملامح وليس كلها التي تتميز بها مرحلة الطفولة ،وتلك الملامح سيكون لها تأثير كبير في تحديد نوعية الأدب الذي يجب أن يكتب للطفل،فكما أن هناك ملابس معينة يجب أن تصنع للطفل وهناك لعب تصنع له،وطعام خاص يعد له.كذلك يجب أن يكون هناك أدب خاص بالطفل،يراعي أن تتجسد فيه كل تلك الملامح التي تتميز بها مرحلة الطفولة.

---

١. الاتجاهات الحديثة في التربية – محمد عطية الإبراشي – (٢٧٧)